

من يد ذات سوار

إلى مفضرة الأستاذ على الطنطاوي

—>>><<<—

موضوعاتك ياسيدي صفقات رابحة في عالم الأدب ، ونفحات عاطرة من أريج القلم . ومن أنا حتى أستطيع أن أقول ما يمن لي تلقاءها ؟ وأأسفاه ! لست ربة قلم ، ولا صاحبة بيان ، وليس لي من الحول والطول ما يمينني على نشر ما يجول بفكري وخطاري . بحث بمقال مرة رداً على أحد الكتاب إلى إحدى المجلات ، فكان نصيبه الإهمال . وكم فرحت كثيراً لأنه لم يُنشر ، ذلك أني بعد أن بحثت به تذكرت : (إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفافها) . فإما أن أكتب في « الرسالة » بين كتاب الأدب الرفيع وإلا فلا .

ولو أن الله وهبني من العقل كفاء ما وهبني من الحس لكان لي في ميدان الكتابة شأن . ولقد شاء الله أن أندوق فنون الكلام وحلاوة البيان ، و « الرسالة » فضل كبير في هذا التدوين ، فقد عكفت على قراءتها بانتظام منذ أكثر من عام ، وعشت بنفسى وحسى مع كتابها العظام ، أحل لم من التقدير والاحترام ما لا ينضوي تحت صفة ولا معرفة ، وأنت ياسيدي الطنطاوي من هؤلاء ، فلو رأيتني حين أقرأ مقالاً لك ، لوجدتني تسوالة بها جولة في عالمي الصغير باحثة عن زميلة تشاركني السرور في تلاوتها ، خصوصاً ، وأنت من قطر شقيق لي فيه سديقات تتجلى في سجاياهن أرفع آيات المودة والإخلاص والنبيل . وإني أخشى أن أثيرك بهذه المجالة فيصيبني من براعك ما لا أنصاه ما عشت .

إن استهلاكَ في موضوعك (مناظرة هادئة) يقولك : (نحن معشر الرجعيين لا نرى قتال المرأة ولا نزاهة) هو الذي شجعتني على أن أقف أمام مقامك الكريم موقف التليذ من معلمه — ويحيى !! وهل لمنلي أن تطمع في هذا الشرف ؟ .

لو كنت من قريباتك ... مالي أقول هذا والسلام أخ المسلمة وهي أخت له . وإذن لي — بهذه الأخوة — عليك دالة خفيفة

مشفوعة بالأدب والطواعية ، وعلى ذلك أتقدم إليك قائلة : إن موضوعاتك كلها تأخذ بمجامع قلبي ، وتنزى روحي ولبي ، وكلها من صميم الواقع الملموس ، غير أن بعضها موثى بقليل من المغالاة والحدة ، وإن الموضوع الذي عنوانته (مناظرة هادئة) كان أقن أن تسميه (مناظرة نائرة) . ألتست معي في أن لفظ مناظرة فيه معنى النظر ، وهذا لا يتفق مع ما بدأت به مقالك . يعلم الله أني تلوت هذه المناظرة بشغف ، ولم المس في غصونها ذلك الهدوء الذي نمتها به ، وإنما لست فيها صرخة مججلة وتهداراً . إنه لا يزال يتوارد على نفسي ، ورن في سمى كل يوم حديث تلك القصة التي طلعت بها علينا في صفحات « الرسالة » عن تلك الفتاة التي صوّرت عارية ، فسجلت بذلك على هذا العربي الذي فعل هذا الفعل خزيًا لم نسمع به من قبل . يا للعار والقسوة أيجدث مثل هذا في بلد عربي ؟

إن القلم الذي تحمله رهيف يحز في نفسي ، ويترك أثره في حسي ، فهل رأفت وخففت من إرهافه ؟ رأفت ! كيف أقولها وأنت الذي في ثنايا فؤادك (رققاً بالقوارير) .

إني لتعجبني تلك النزعة التي تنزع إليها في مناهضة السفور واختلاط الجنسين ومشاركة المرأة الرجل في أعماله ، ومن المعروف أن النهضة النسائية قام الرجل فيها يقسط كبير ، وكانت له اليد الطولى في توجيه دفءها ، ومادام الرجل قواماً على المرأة فهو الذي يحمل وحده وزر هذه التبعة ، وهو الذي فتح عليها سدود النهر فجرفها التيار ، ثم بعد ذلك قطعت شوطاً بعيداً في عالم الأزياء ، وقلدت الأجنبية ، وحملت الشهادات من بكالوريوس ودبلومات

إن هذه الخلة التي تقوم بها تكون أجدي لو أرسلتها صواعق متوالية في غارات مدوية على الذين يبدعون مقاليد الأمور والحكم ، فإن هؤلاء في مقدورهم أن يحملوا الناس على السير بتعاليم الإسلام ، وفي مكنتهم إغلاق أبواب الفجور ، ومنع إصدار الصحف التي تخدش كرامة الفضيلة .

يا للإساءة التي تصبها على التعلقات يقولك : (ويجمعهم مجلس يد هذا كله بالعاميات الجاهلات) . فلا تجدهم أصح منهن فكراً ، ولا أبعد نظراً ، ولا ترى لهذا الحشد من العلومات الذي جمع في رءوسهن من أثر في المحاكمة ولا في النظر إلى الأشياء ،

إن السيدة المتعلمة الراقية المستنيرة لا ترضى على الإطلاق أن تلقى في زوجها (حماراً) تركبه - كما تقول - إلى غايها . إنها ترفض في شتم وإيذاء أن تفقد احترامها للرجل الذي يشاطرها الحياة ، ولا بد لها من الإحساس بأنه السيد المطاع القوام الذي تخافه رغبة لا رهبة . وقياساً على هذا أقول إن أزواج التعلات كلهم أشقياء؟ إن كان الإيجاب ، فيالشارجهم ، وسواد عيشهم ! إلى استحييت مرة من قراءة بعض العبارات التي وصفت بها محاسن المرأة وصفاً سافراً ، ولولا حرصى على قراءة أفكارك كلها لأبيت قراءتها .

وما يمجبنى إلا كتابتك في الحب والنزل ، وحن وصفاً للفوانى . قديرٌ قديرٌ - بلا شك - في ألوان الكتابة . أوليس في هذا الكفاية لما تحمله من احترام المرأة وإكرامها ؟ كثيراً ما ندفعني مقالاتك إلى الكتابة . لعل فيها سرّاً . يجب إلى الأخذ بنصية القلم ، ولكنى لا ألبث أن أدعه هية وإجلالا .

لا أدري كيف كتبت هذا المقال الجرى ، مع أنى أعلم أنى أمام جهبذ من جهابذة الأدب ، فأعذرنى ياسيدى لأن الحق أنطقنى . لا يفضينك هذا القول ، فما قصدت به إلا الترفيه عنك ، ليحول من صدرك نبزاً منك بالمرأة المتعلمة . وعسى أن تجد فيها كتبتة صاحبة اليد ذات السوار - كما وصفتها - رَوْحاً وترويحاً ... واللام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(بر زات سوار)

ظهرت اليوم

الطبعة الجديدة من كتاب :

في أصول الأدب

في ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً

فكأن هذه المعلومات التي تصب في أسطوانات الحاكى (الفونوغراف) إن أدتها سمعت لهجة فصيحة وكلاماً يئسنا ، ونشأ حلواً فتقول إنها تنطق ، فإذا سألناها وكلتها رأيتها جماًداً أخرس ليس فيها إلا ما استودعته من الكلام الملحن .

هذا يا أستاذ كلام لا تقبله فتاة ولو كانت نصف متعلمة مثلى . هذا يجرح الإنسانية التي يكتنفها العقل والشعور . (جماًداً أخرس؟) (باللبشاعة الوصف والتشبيه ! (جماًداً أخرس؟) كيف ؟ وقد برأها البارى إنساناً ضاحكاً ناطقاً فيه حركة ولب وإحساس . هذا لا يُستغرب لأنك لا تؤمن بالإنسان .

إن لي صديقات ، وأعرف جماً غفيراً من السيدات والفتيات كلهن متعلات وحاملات للشهادات ، ولسن كما تقول ، فإذا جمك بهن مجلس وسمت حوارهن وقاشهن لا يسمك إلا أن تنفّر رأيتك في بنات هذا الجيل ، وإذا كنت تصف المثقفة بالجماذ الأخرس فهذا تصف الجاهلة ؟

قل ما شئت من ناحية الدين في فتاة العصر ، فإني أشابعك على كل ما تقول ، ولو أن هنا في مضرهضة نسائية دينية مباركة ، يملك زمامها جمعية الأخوات المسلمات ، بارك الله فيهن ، وحقن على أيديهن ما يرضاه الدين للمرأة المسلمة . أما من ناحية العلم والنطق فاليسون شاسع والشقة بعيدة بين الجاهلة والمتعلمة .

لست بهذا أذاف عن نفسى ، وإنما الدقاع واجب على من عرفت فيهن سداد الرأى واستقلال الفكر وبعد النظر ووزن الأمور بميزانها .

وقلت أيضاً : (ثم إن تزوجن لم يمتزن إلا بإعمال الولد الخ) . وأقول أنا إزاء هذا : إنى أعرف سيدات فضليات متعلات ، لا جاهلات عاميات ، ينشئن أطفالهن أحسن تنشئة ، ويحرصن على تربيتهم بأنفسهن ، ليكون منهم في المستقبل رجال نابهون ، وأجناد مجاهدون ، وقادة محتكون .

إن تلك التي تهمل طفلها وتتركه بأيدي الخدم خرقاء ولا تُمد في سواد النساء .

(إنه لا يجب إحداهن إلا أن تلقى في زوجها حماراً) هكذا قلت . ولكن أكل هؤلاء الرجال الذين تزوجوا متعلات تخدم في شرحتك - ميراً ؟ (مأذ الله) من فيهم يرضى بهذا ؟